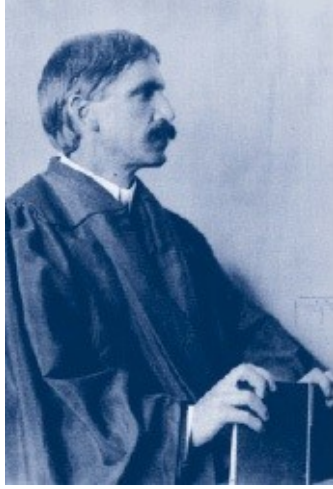


جون ديوي (1859-1952)



"حديقة الحب مكان حجري مع أعشاب ضارة".

عندما كان عالم نظريات التعليم الأمريكي جون ديوي طالبًا جامعياً في جامعة "جونز هوبكنز"، كان خجولاً لدرجة مؤلمة حتى أن رئيس الجامعة (دانيال كويت غيلمان Daniel Coit Gilman) نصحه ألا يكون متعلقاً جداً بالكتب. قال (غيلمان) لديوي: "لا تعيش حياةً منعزلة، اخرج وقابل الناس"

وتبين أن ديوي كان فقط بحاجةٍ للعثور على الفتاة الصحيحة. فبعد وقت قصير من مقابلة (أليس شيبمان) في أحد صفوف الجامعة، بدأ الحديث عن الزواج. كتب تلميذ ديوي (ماكس ايستمان): "كان هنالك إعجاب معنوي وفكري كبير بينهما". قال ديوي لـ(ايستمان) في ذات مرة: "لم يكن هنالك شخصان واقعان في الحب أكثر منهما". في يوليو من عام 1886م، تزوجا بعد تخرج أليس من الجامعة، وترقية ديوي إلى رتبة أستاذ مساعد.

لم يكن "الإعجاب المعنوي والفكري" كافياً لإبقاء ديوي مخلصاً تماماً خلال العقود الأربعة القادمة من زواجهما. حضرت (أنزيا ييزيرسكا Anzia Yezierska) -الكاتبة الأمريكية البولندية التي كانت متدربة لدى ديوي لمدة عشرين عاماً- محاضراته في كلية كولومبيا. كون الأستاذ الجيد علاقة قصيرة لكن عاطفية معها في عام 1918م. كتب (روبرت بي وستبروك Robert B. Westbrook) كاتب السيرة: "لا يبدو أن العلاقة قد حققت أي تقدم جسدي يتعدى الملاحظة الخفيفة".

توفيت زوجة ديوي (أليس) في عام 1927م. وبعد قرابة عقدين، عندما كان في السابعة والثمانين، تزوج ديوي (روبرت غرانت)، أرملة في الثانية والأربعين من عمرها. لم يعلنوا زواجهما لأن ديوي كان يخشى أنها سوف تواجه انتقادات بسبب الاختلاف في عمريهما. مع ذلك سبب

زواج ديوي الثاني بعض الانشاقات بينه وبين ابنائه. وحذرت (إيفلين) -ابنة ديوي من زواجه الأول-أصدقاء والدها أن (روبرت) كانت تصب "خيالات شريرة" في رأس ديوي. ووفقًا لكاتب السيرة (سيدني هوك): كانت (روبرت) "ذات جنون ارتيائي" و "كاذبة". بعيدًا عن عائلته وأصدقائه توفي ديوي بهدوء عن عمر ناهز الثانية والتسعين من عمره.

بكلماته الخاصة

رسائل حب غير عظيمة، من رجال عظام



على الرغم من مهارته اللفظية في نواحٍ أخرى، إلا أن رسائل حب ديوي الموجهة لـ(أليس) "كانت بسيطة للغاية، لدرجة أن القارئ يفترض أن كاتبها يفتقر للممارسة في كيفية فتح قلبه لشخص" كما عبر كاتب السيرة (ألان ريان Alan Ryan). هل كان قاسيًا على الرجل؟ اقرأ ما يلي من مقتطفات خطابات ديوي بنفسك وكن أنت القاضي في هذا الأمر:

(الأحلى، متى ستعودين لتباركينني بالبهجة المحبوبة الأكثر من بهجة حبك؟ المحبوبة من قبل روحي، ونفسي، ونفسي الحقيقة، موقظتي في الحياة ورغبتني، مائة حياتي، ومشبعة ما أريد، ومصدر كل ما أستطيع أن أكون، ومانحة كل ما أنا عليه، هل أقول إنني أحبك؟ أوه يا حبيبتي وعزيزتي، فكرة أنني أستطيع منحك الحب تثيرني بمجملي ببهجة الحياة.

حبي، كيف يملأ حبك كل شيء. عزيزتي، إنه أنا وكل شيء عني. أنا هو وأنا فيه، حبي، وإنه حلاوة العالم. عزيزتي، كيف يمكن ان اضع حبك بحياتي، بوجودي، بكلي، الذي لا أملكه، بل تملكينه يا حلوة.)

دينس ديدرو (1713-1784)



"قد قيل أن الحب يسلب أولئك الذين يجدونه في أذهانهم ، ويبيدي العطاء لأولئك الذين لا يجدون."

عندما قرر دينس ديدرو أن يصبح كاتباً في سن الواحد والعشرين، كان قد سبق له وأن حاول العمل في وظائف أخرى: كقس، وكطبيب وكمحام. بينما كانت تلك المهنة الأخرى ذات مردود مادي أكبر إلا أن قلب ديدرو كان قد عُقد على الحياة الأدبية. وللأسف المقابلة، كان بالكاد يكسب لقمة عيشه بالقيام بترجمة وكتابة الخطب وإعطاء الدروس للطلاب. ذلك الوجود البوهيمي كان "كثيراً ما يتم تصويره برومنسية على الورق [لكنه] كان مزرياً ورثاً للغاية في الواقع"، كما وصف الكاتب (إيفلين بياتريس هال) عن نضال ديدرو ليكون كاتباً مستقلاً في فرنسا القرن الثامن عشر.

في 1743م كان ديدرو يسكن لدى خياطة فقيرة ووالدتها. كانت الخياطة (أنطوانيت تشامبان) غير متعلمة، إلا أنها -بالرغم من ذلك- استولت على قلب الفيلسوف. ورغبة منه في إشعال شرارة لعلاقة بينهما، طلب من (أنطوانيت) أن تخط له زياً مدعياً أنه سوف يدخل المدرسة اليسوعية، وأنه في حاجة ماسة للملابس. (ولم تكن لديه أية نوايا لذلك). لحسن حظه، كانت مزحة ديدرو ساحرة أكثر مما توحى به الحيلة المتقنة. وقریباً بعدها تزوجا.

أثرت غيرة ديدرو عليه سريعاً، فطلب من زوجته الجديدة التوقف عن الخياطة، خشية أن تجلب لها أعمالها التجارية لقاءات مع عزاب يائسين آخرين يبحثون عن الحب. بالاعتماد على مصادر دخل ديدرو المتفرقة ومدخرات والده (أنطوانيت) الضئيلة، واصل الثلاثي العيش في فقر. كتب (هال): "ساهمت شعبية ديدرو في دعوته لتناول العشاء -في أحيان كثيرة- مع أصدقائه، وكان يذهب دائماً، بينما كانت [زوجته وحماته] في المنزل، تأكلان الخبز الجاف".

بالإضافة إلى المعارك التي تلت ذلك ولا مفر منها على الأموال، وجد ديدرو أن حقائق الحياة الزوجية تقيد احساسه البوهيمي. فقرر أن الشغف لا يمكن أن يكتب من قبل "نذر لا معنًاً له" مثل الزواج. فكتب: "ما الهدف النبيل للمتعصب الذي يعذب نفسه مثل مجنون من أجل الرغبة في لا شيء (و) وحب لا شيء". العشاق شغفٌ يُسعى وراءه، لم يُقصد به الحب. بينما كانت أنطوانيت بعيدة في زيارةٍ عائليةٍ، بدأ ديدرو علاقة غرامية مع (مدام دي بويسيوكس (Madame de Puisieux

كانت (مدام) تعشق الملابس. فاستنزفت أموال ديدرو، لكن المفارقة، أنها بذلك كانت قد ألهمت بعض أفضل أعماله المعروفة: "مقال عن الجدارة والفضيلة Essay on Merit and Virtue" و "الأفكار الفلسفية Philosophical Thoughts". يوماً ما كانت في زيارة لـ ديدرو مرتدية ثياباً غالية لم يكن قد اشتراها لها، فتبعها ديدرو وقبض عليها مع رجل آخر. وفقاً لـ(هال): فإن الفيلسوف الغيور: "تخلى عنها بالسهولة والحرارة التي وقع بها في الحب معها".

كان افتتاحه اللاحق مع (صوفي فولاند). تبادلوا الخطابات لثمانية وعشرين عاماً، العديد منها أحرقتها فيما بعد زوجة ديدرو. تكهن الباحثون أن ديدرو و(فولاند) كانا عاشقين، ولكن أي دليل ملموس على هذه العلاقة كان قد ضاع في ألسنة اللهب.

كتابات ديدرو جعلت منه في نهاية المطاف مشهوراً، وأصبح رجلاً ثرياً عندما باع كتب مكتبته الشخصية إلى (كاترين العظيمة Catherine the Great). أنجبت زوجته بنتاً، ولكن زواجهما

المضطرب لم يتحسن ابداً، واكتنابه بعد الوفاة المفاجئة لـ(صوفي فولاند) في 1784م لم يساعد الأمور.

بعد تسعة أشهر من وفاة (فولاند)، توفي ديدرو فجأة أثناء تناول مشمشٍ على مائدة العشاء مع أسرته. كانت كلماته الأخيرة: "ما هو الضرر المحتمل الذي يمكن أنه يفعله بي؟"

بكلمته الخاصة

يحرق بعد القراءة



بلا عجب، فقد أُحرقَ العديد من رسائل حب ديدرو إلى (صوفي فولاند) من قبل زوجته، لكن البعض منها قد نجا:

يوليو 1759م: أنا كلياً لكِ — أنت كل شيءٍ بالنسبة لي؛ وسوف نساند بعضنا البعض في جميع علل الحياة التي قد يُسر القدر أن يلحقها بنا؛ سوف تخففين متاعبي؛ وسوف أواسيك في متاعبك أليس صحيحاً -يا عزيزتي صوفي- أنك ودودة جداً؟ افحصي نفسك - انظري إلى أية درجة تستحقين الحب، واعرني أنني أحبك كثيراً.... أنا سعيد بقدر ما يمكن للرجل أن يكون بمعرفة أن أفضل النساء تحبني.

20 أكتوبر 1759م: أنتِ تحبينني دائماً. أصدقك: والآن أنا سعيد. أعيش مرة أخرى، أستطيع الكلام واللعب والسير على قدمي - القيام بأي شيء يحلو لك.... وسوف أحبك أكثر مما أحبك، إن عرفت كيف أفعل ذلك.

ديوجين المتشائم (نحو 412-323 ق.)



Diogenes the Cynic

"الزواج لا يحمل أي خيرٍ للرجل، ويجب علينا أن نرضى إن كان لا يضر"

خاض ديوجين المتشائم معركة مدى حياته ضد العادات والتقاليد في العالم اليوناني. وبُنيت فلسفته على أن ما هو طبيعي لا يمكن أن يكون خاطئًا. واستخدم ذلك كذريعة لإخراج الريح والتبول والتبرز والاستمناء في الأماكن العامة.

ومع ذلك، فقد كان ديوجين ذا شخصية مسلية ومحبوبًا من قبل زملائه الأثينيين. واعتُقد أن الإسكندر الأكبر كان من معجبي الفيلسوف غريب الأطوار، حيث قال: "لو لم أكن ألكسندر لتمنيت أن أكون ديوجين."

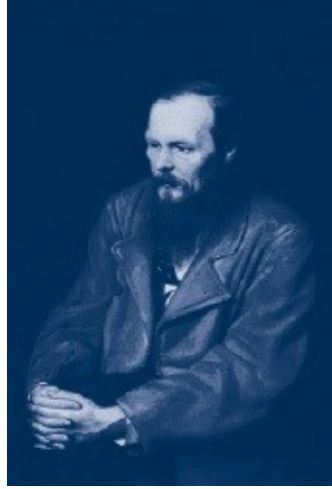
يبدو السجل التاريخي غامضًا بشأن ما إذا كان ديوجين قد وقع في الحب، ومن المرجح أنه لم يفعل، خصوصًا في ضوء سلوكه الفاضح. اعتقد أن الرجل الحكيم بحق لا يمكن أن يكون واقفًا في الحب. الحب - كما يقول ديوجين - هو إقليم الذين ليس لديهم شيء لفعله. يا له من تعبير متهمك صادر من رجل ينام في الهواء الطلق في برميل ويتوسل لبعض المال خلال النهار!!

بكلماته الخاصة

أفضل هدية

مقت ديوجين التقاليد الاجتماعية مثل الزواج. وقال "لقد عثد البشر كل هدية بسيطة من الآلهة"، معللاً بأن الزواج وبدون داعٍ يُعقد الجنس كهدية طبيعية". واقترح إقامة مجتمع بديل تكون فيه النساء "ملكية مشتركة" للرجال. فبدلاً من أن يتم عقد قران زوجين في زواجٍ أحاديٍّ، في عالم ديوجين المثالي، يتمكن الرجال والنساء من تغيير شركاء الجنس قدر ما يشاؤون.

فيودور دوستويفسكي (1821-1881)



"الحب في الواقع شيء قاسٍ ومروع بالمقارنة مع الحب في الأحلام".

التقى الكاتب الروسي فيودور دوستويفسكي -الذي أثر عمله على (وجوديي existentialists) القرن العشرين مثل (ألبر كامو) و(سارتر جان بول) - بـ (ماريا دميتريفنا اساييفا Maria Dmitrievna Isayeva) بينما كان يخدم في "فوج سيبيريا" كقوات خاصة في عام 1856م. كانت فرص ارتباطهما غير مرجحة: فقد كانت متزوجة، وعلى النقيض من دوستويفسكي المظلم، كانت جذابة ومرحة. كتب (البارون ألكسندر فرانجيل) وهو صديق مشترك لهما: "لا أعتقد أنها كانت تحمل له قدرًا عاليًا من التقدير، كان الأمر أقرب بأنها كانت تشفق عليه... والأكثر قطعًا أنها لم تكن واقعة في حبه". رأت ماريا في دوستويفسكي رجلًا فقيرًا "بلا مستقبل". وبالرغم من ذلك يبدو أنها أشفقت عليه بما يكفي للزواج منه في عام 1857م بعد أن توفي زوجها الأول.

كانت العلاقة بينهما وعرة غير مستقرة. كتب دوستويفسكي في وقت لاحق في رسالة إلى (فرانجيل): "كان كلانا على حد سواء غير سعيد تمامًا، ولكننا لم نتمكن من التوقف عن محبة بعضنا البعض؛ كلما زادت تعاستنا كلما زاد تشبثنا ببعضنا، في الحقيقة كلما زاد بؤسنا كلما أشد رباطنا. بغض النظر عن مدى غرابة هذا الأمر، فهذا ما كان يحصل".

عندما تم تشخيص دوستويفسكي بالصرع، حصل على ترخيص طبي من الجيش وعاد مع زوجته إلى مسقط رأسه في سانت بطرسبرغ. وتبين أن هذه النقلة كانت قاتلة لماريا فقد كانت تعاني من السل، وساهم المناخ الرطب في المدينة الجديدة في تفاقم حالتها.

بينما كانت صحتها في تدهور، بدأ دوستويفسكي ذا الأربعين عامًا علاقة غرامية مع الكاتبة (أبوليناريا سوسلوفا Apollinaria Suslova) ذات الثانية والعشرين سنة في عام 1862م. ظلت عشيقته للعامين التاليين ولكن الوضع كان غير مرضٍ للطرفين. قطعاً العلاقات في عام 1864م. حيث انعكس ذلك في أقوال

الراوي من رواية دوستويفسكي "المقامر *The Gambler*" (التي تعتبر سيرة ذاتية مموهة بشكل ضعيف)، حيث كتب قُرب نهاية علاقته مع (سوسلوا) ما يلي:

كانت هنالك لحظات (في الواقع، في كل مرة ننتهي من محادثة)، كنت فيها لأعطي نصف عمري ثمنًا لخنقها. أقسم أنه لو سنحت لي الفرصة بأن أغرس سكينه حادة في صدرها ببطء، أعتقد أنني كنت لأفعل ذلك ببهجة.

بعد انفصاله عن (سوسلوا) أمضى دوستويفسكي مزيداً من الوقت في خدمة زوجته المريضة. وبينما كان يكتب "مذكرات من القبو *Notes from Underground*" كان يستمع لصوت سعال زوجته المخترق من الغرفة المجاورة. وكتب: "كل يوم كانت هناك لحظة كنا نتوقع أن تموت فيها". وأخيراً فعلت ذلك في 15 أبريل 1864م، وقد كانت إضافته في دفتر يومياته من اليوم التالي مفاجئة في إيجازها: "16 أبريل: ماشا [ماريا] تستلقي على الطاولة. هل سأرى ماشا مرة أخرى؟"

استهلت وفاة زوجته فترة مظلمة في حياة في دوستويفسكي. توفي أخوه بعد ذلك بوقت قصير. ازداد إدمان دوستويفسكي للقمار سوءاً، وتزايدت ديونه لأضعاف مضاعفة. وتم رفض طلبه الفاتر للزواج من عشيقته السابقة (سوسلوا). أتاه الخلاص على شاكلة (كاتبة المحكمة stenographer) ذات العشرين عاماً (آنا جريجوريفنا سنيتكينا Anna Grigorievna Snitkina).

في أكتوبر 1866م، استأجر دوستويفسكي (سنيتكينا) لكتابة عمله. لم يكن حباً من النظرة الأولى. فقد كتبت عن المؤلف ذي السادسة والأربعين عاماً: "لا شيء يمكن أن ينقل مظهر فيودور الذي يرثي له، عندما التقيت به للمرة الأولى. بدى مشوشاً وقلقا عاجزا ووحيداً ونزقاً وبكاد يكون مريضاً".

بينما أملى كتاباته عليها، نمت انجذاب في قلبيهما. بعد العمل معاً لأقل من شهر، رمى بفكرة لرواية جديدة عن فنان مسن يقع في حب امرأة شابة... اسمها (آنا)، وتساءل هل سيكون من الممكن لمثل هذه العلاقة أن تنجح؟ أجابته ستنجح، لأن الحب الحقيقي لا يقتصر على المظاهر. نمت ثقته بأن مناورته ستنجح، فغامر أكثر: "ضعي نفسك مكانها تخيلي أن هذا الفنان، وهو أنا، اعترف بأنه يحبك وطلب منك أن تكوني زوجته. ما كنتي لتقولي له؟"

ولم تتردد في جوابها: "سأجيب أنني أحبك وسأظل أحبك طوال حياتي". فتزوجا بعد ثلاثة أشهر.

كانت السنوات الأولى من زواجهما مشوبة بمشاكل القمار لدوستويفسكي. وكافاً الموقف المتسامح لزوجته الجديدة تجاه سلوكه برهن مجوهراتها وخاتم زواجهما. (في نهاية المطاف استعادت (آنا) الخاتم). بعد ولادة أبنائه قل قمار دوستويفسكي. وعلى الرغم من أنهما ظلا يعانيان من صعوبات مالية إلا أن دوستويفسكي و(آنا) تمتعا بحياة أسرية هادئة حتى وفاته في عام 1881م.

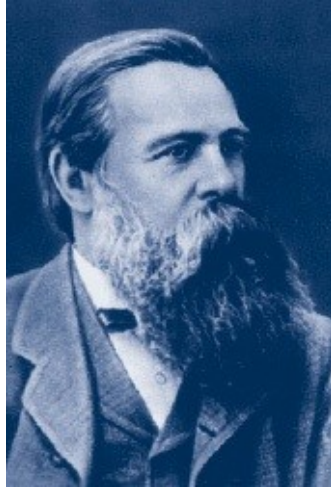
في كلماته الخاصة

عش ودعه يموت



استنتج دوستويفسكي أنه لا جدوى من حمل الضغينة بعد علاقة فاشلة. فلم تزعجه تغيرات المد والجزر للرومانسية: " ينبغي علينا أن نكون ممتنين للأبد لكل امرأة احببناها، لكل يوم وساعة من الفرح قدمتها لنا. وربما ألا نطالبها بالتفكير بنا فقط طوال حياتها"

فريدريك إنجلز(1820-1895)



"الأمثلة على وجود الإخلاص في الزواج الأحادي بين الطيور ليست دليلاً على نجاح ذلك للرجال، لأننا لم ننحدر من الطيور".

لا يعتقد الاشتراكي الألماني فريدريك إنجلز أن الزواج الأحادي (monogamy) هو الحالة الطبيعية للرجل. ورفض الأدلة القولية عن الحيوانات لكونها لا علاقة لها بالحجة. وكتب:

"إذا كان الزواج الأحادي الصارم هو ارتفاعاً للفضيلة، إذن فإن الأصل في ذلك ينتمي إلى الدودة الشريطية التي تحمل جهازاً جنسياً كاملاً ذكرياً وأنثوياً في كلٍ من أقسامها التي يبلغ عددها الخمسين إلى المائتين، وتمضي حياتها كلها في إخصاب نفسها في كل واحد من أقسامها".

عاش إنجلز بمبدئه، ونادراً ما ربط نفسه بامرأة واحدة طوال حياته. وفي خطاب في عام 1846م حاول فريدريك إنجلز إقناع صديقه الجيد (كارل ماركس) بزيارته في باريس.

(إذا كان لدي دخل يتكون من 5000 فرنك، فلن أفعل غير العمل وأن أمتع نفسي مع النساء إلى أن أتلاشى إلى أشلاء. لو لم يكن هنالك نساء فرنسيات، فلن تكون الحياة جديرة بالعيش. ولكن لطالما كان هناك (جريسيتيس *grisettes*) فهي جيدة وحسنة!)

جريسيتيس *grisettes* هن نساء الطبقة العاملة الفرنسية. عملن في صناعة الملابس نهاراً، وفي مغازلة الرجال ليلاً. لم يكن من البغايا (على الأقل ليس كلهن)، ولكن كان لديهن سمعة سيئة لكونهن "سهلات". ومع ذلك أدان إنجلز البغاء كـ "أكبر استغلالٍ ملموس—يهاجم الجسد مباشرة - لطبقة البروليتاريا من قبل الطبقة البرجوازية".

تمتع إنجلز بالعديد من الرفيقات الإناث، من جريسيتيس المذكورات آنفاً في باريس، إلى شقيقتين إيرلنديتين أميتين واعدهما على التوالي. حتى أنه تزوج واحدة من الشقيقتين (ليزي بيرنز) على الرغم من كراهيته الشديدة للزواج. وتبين أن الحفل المدني كان مناورة خيرية بحته من طرف إنجلز، فقد تزوج ليزي عندما كانت على فراش الموت.

عندما أصبح كارل ماركس أباً لطفل مع مدبرة منزله (هيلين ديموث)، تدخل إنجلز لحماية سمعة صديقه المتزوج. وعندما بدأت شائعات الأبوة تُداول، أزاح إنجلز الشك عن ماركس ملمحاً إلى أن الطفل طفله وليس طفل ماركس. على ما يبدو أن هذا التفسير كان كافياً لزوجة ماركس، لأن (ديموث) لم تفقد قط وظيفتها كمدبرة منزل في بيت ماركس. وتم التكتم على هوية والد الطفل حتى اعتراف إنجلز على فراش موته.

بكلماته الخاصة

بيان "مبادلي الزوجات"



الأُسرة النووية - الزوج والزوجة والأطفال - كانت نتيجةً برجوازيةً للرأسمالية. وفقاً لماركس وإنجلز في "بيان الحزب الشيوعي (*Communist Manifesto*)، هذه البنية الأسرية التقليدية بنيت "على الرأسمال، ملكسب شخصي". ذهباً خطوة أبعد بإدانة جميع الزيجات التقييدية. "كل ما يحققه هذا الزواج الأحادي البروتستانتي هو شراكة زوجية من الملل الشاحب، تعرف باسم 'النعيم المنزلي'".

اعتقد إنجلز أن الأمور ستتغير بعد أن تأتي الثورة الشيوعية بثمارها. كتب إنجلز "إن المساواة الحقيقية بين الرجل والمرأة لا يمكن أن تصبح واقعاً إلا بعد إلغاء استغلال كل منهما عن طريق إنهاء الرأسمال". من دون الملكية الخاصة، سوف تتفكك الأسر التقليدية، ويمكن أن تبدأ مبادلة الزوجية.